المصـــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 06-03-2006
الصفحـات : 21
العـــدد : 15657
المسلسل : 152

بانوراما تأريخية وسياسية للعلاقات السعودية - الفرنسية (٢/٢)

ثبات الموقف وتوافق وجهات النظر أهم سمة ميزت العلاقات بين البلدين

قراءة
إبراهيم عباس

ازدادت العلاقات الفرنسية - الإسرائيلية توترًا في عهد الرئيس بومبيدو في الوقت الذي قويت فيه علاقات فرنسا بالعالم العربي بسبب موقف فرنسا من حرب أكتوبر ١٩٧٣ التي أكدت أهمية الدول الخليجية - وفي مقدمتها المملكة- بالنسبة لفرنسا في تأمين احتياجاتها النفطية لكي يستمر اقتصادها على الوقوف أمام منافسة المنتجات الأجنبية الأخرى .وعندما تسلم الرئيس ديستان الحكم كان يعرف جيدًا بحكم تسلمه لمنصب وزير المالية لسنوات طويلة أهمية تطوير علاقات فرنسا مع الدول العربية وليرسي قاعدة ستشكل سمة بارزة في العلاقات الفرنسية - العربية بشكل عام . والفرنسية - السعودية بشكل خاص - بأن فرنسا ليس بوسعها أن تضحي بمصالحها العديدة في منطقة الشرق الأوسط من أجل إسرائيل . وهو ما دفع وزير الخارجية ميشيل جوبير إلى القول :إن من كان يعارض السياسة الخارجية لديجول وبومبيدو تجاه الشرق الأوسط أمثال جيسكار ديستان وبونيتا توشكي ودورنانو ولوكانييه - هم من يحكم فرنسا في عهد ديستان . وهم الذين وافقوا على بيع الأسلحة لمصر وعلى فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في باريس .

الموقف من القضية الفلسطينية

ثمة خاصيتان تميزان السياستين السعودية والفرنسية تجاه القضية الفلسطينية إحداهما ثبات هذا الموقف وصلابته ، والأخرى توافق وجهتي النظر بين البلدين إزاء تلك القضية واتفاقهما على ضرورة دعم الشعب الفلسطيني في تطلعاته نحو إقامة دولته الحرة المستقلة على أراضيه المحتلة منذ حرب يونيو ١٩٦٧ بما في ذلك القدس الشريف ، وقد أمكن ترجمة هذا الموقف على أرض الواقع من خلال اللقاءات والتصريحات التي ظل يدلي بها قادة البلدين وفي المحافل والمؤتمرات الإقليمية والدولية.

والواقع أن موقف فرنسا من القضية الفلسطينية كان ريادياً في المجموعة الأوروبية. وظل هذا الموقف منذ السبعينيات من القرن الماضي يدور حول ربط فرنسا لحق إسرائيل في الوجود مع ضرورة الانسحاب من الأراضي التي احتلتها في حرب يونيو ١٩٦٧. وكان ذلك يعني أن فرنسا لن تضمن أمن وسلامة إسرائيل مالم يتحقق انسحابها من تلك الأراضي - الأمر الذي سبب إزعاجًا متواصلاً لإسرائيل . وقد لعبت فرنسا دورًا كبيرًا في صدور إعلان البندقية عام ١٩٨٠ وأيدت المبادرة العربية التي أقرتها قمة فاس عام ١٩٨٢، والمبادرة العربية للسلام التي أقرتها قمة بيروت في مارس ٢٠٠٢ ، وكلاهما انبثقتا في الأساس من مشروع سلام سعودي ارتبط الأول بخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يرحمه الله - والثاني بخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - يحفظه الله -

والواقع أن فرنسا استشعرت أهمية قضية الشرق الأوسط بالنسبة للدول العربية - المملكة بشكل خاص - إلى جانب أن استمرار تفاقم تلك القضية من شأنه أن ينعكس سلبًا على أمن المنطقة الذي يؤثر بدوره على أمن أوروبا . وكان ديجول أول من أرسى دعامة هذه الحقيقة الاستراتجية عبر مقولته الشهيرة أمن فرنسا من أمن دول البحر المتوسط ، بمعنى أن استمرار التوتر في المنطقة بسبب استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ . إلى جانب ما يمكن أن يسببه من تأزم في العلاقات مع هذه الدول . فإنه يشكل أيضًا تهديدًا لأمن دول أوروبا المتوسطية .وقد أمكن ترجمة هذا التوجه في السياسة الفرنسية من خلال خطوات دبلوماسية عملية ملموسة بدأت باجتماع وزير الخارجية الفرنسي سوفانيارغ مع ياسر عرفات في ١٩٧٤/١٠/٢١ في مقر السفارة الفرنسية في بيروت . وقد نادى الرئيس ديستان في مؤتمره الصحفي في ١٩٧٤/١٠/٢٤ بضرورة إعطاء وطن للشعب الفلسطيني فيما اعتبر بأنه المرة الأولى التي ينادي بها رئيس فرنسي بمثل هذا الطلب وربطه كشرط لتحقيق السلام في الشرق الأوسط . وقد اتسم الموقف الفرنسي تجاه القضية الفلسطينية بالثبات دون أن يتراجع في عهد ميتران ووصل إلى قمة الدعم في عهد الرئيس شيراك وتمثل بشكل خاص في الموقف من حصار عرفات . ففي أكتوبر ٢٠٠٤ أكد وزير الخارجية ميشال بارنييه - رئيس الوزراء في الوقت الحالي - أن الرئيس عرفات ينبغي ان يبقى شخصية لا يمكن الالتفاف حولها في عملية السلام مضيفاً أن بقاء عرفات أسيرًا يقلص من فرص انفتاح النظام السياسي الفلسطيني على الأجيال الصاعدة . وتساءل بارنييه في كلمة ألقاها في جامعة تل أبيب خلال زيارته لإسرائيل في غضون ذلك الوقت : هل سمعتم في تاريخ العالم عن سلام بين شعوب تفصلها جدران ؟ .

عودة الديجولية

اللافت للنظر أن السياسة الفرنسية لم تتغير في عهد ديستان وميتران رغم أنهما لم يكونا ديجوليين .لكن الديجولية عادت بكل ثقلها وخصائصها في عهد أحد أخلص أبنائها الرئيس جاك شيراك الذي كانت تجمعه صداقات شخصية مع العديد من القادة والمسؤولين السعوديين منذ أن كان يشغل منصب عمدة باريس . وأهم حقيقة استراتجية في مسيرة العلاقات السعودية الفرنسية في هذه الحقبة إرساء الرئيس شيراك

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 06-03-2006 العـــدد : 15657
الصفحـات : 21 المسلسل : 152

وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يرحمه الله - دعائم الشراكة الاستراتيجية بين المملكة وفرنسا قبل نحو عقد ، وهي الشراكة التي شقت طريقها بعد ذلك في خط بياني تصاعدي منذ ذلك الحين من خلال الزيارات الثلاث الهامة التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - يحفظه الله - في غضون تلك الفترة عندما كان وليًا للعهد .

أما الحقيقة الاستراتيجية الأخرى التي ميزت العلاقات بين البلدين الصديقين فهي توافق وجهات النظر واتفاق المواقف بين الرياض وباريس حيال القضايا والمشكلات الدولية من خلال اللقاءات والزيارات المتبادلة والمستمرة بين قادة ومسؤولي البلدين في إطار التنسيق والتشاور حول تلك القضايا ، واستخدام نهج الحكمة والتعقل في حلها استنادًا إلى المشروعية والمرجعيات الدولية ، وهو ما اتضح في موقف البلدين إلى جانب الموقف - إزاء قضية السلام في الشرق الأوسط - في مواقفهما من الغزو العراقي للكويت ، ثم الغزو الأمريكي للعراق ، والموقف من الملف السوري - اللبناني ، والملف النووي الإيراني على قاعدة أن الخيار الدبلوماسي هو الأكثر حكمة في معالجة هذا الملف وضرورة جعل منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل ، وأخيرًا في توافق وجهتي نظر البلدين في رفض أسلوب قطع المساعدات المالية عن السلطة الفلسطينية وضرورة إعطاء حماس فرصة للتعبير عن توجهاتها السياسية - وهي مجمل القضايا التي ستتناولها المباحثات بين العاهل السعودي والرئيس الفرنسي خلال تلك القمة المحورية التي لابد وأن تشكل إضافة جديدة في مسيرة العلاقات بين البلدين والقيادتين والشعبين الصديقين ، وبما يخدم مصلحتهما المشتركة وسهم - في الوقت نفسه - في تبريد تلك القضايا والملفات ودفع جهود السلام الذي يشكل هاجسا مشتركا بين المملكة وفرنسا .